IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 5, Issue 5, October 2023

Received: 21/08/2023 **Accepted:** 16/09/2023 **Published:** 01/10/2023

THE QUR'ANIC TEXT IS A RENEWED SCIENTIFIC READING WITH ORIENTALIST DIMENSIONS (HICHAM JAAIT AS A CRITICAL ANALYTICAL STUDY MODEL)

Khadidja BENSAYAH[1]

Dr, Ammar Thaliji University, Laghouat, Algeria

Abstract

This study aimed to highlight the Quranic text under the oppression of Western modernist ideology, and alerting the Islamic mind to the danger of these studies that distorted its purposes, by highlighting and viewing HICHAM JAAIT's contemporary reading of the Holy Quran. Moreover, to draw attention to his Western Orientalist background by revealing the features of Orientalist influence in his new reading of Islamic heritage and identifying and discussing its intellectual and methodological contradictions. In addition, this academic work aims at realizing and achieving a set of objectives, which are studying the Quranic text considering a pillar that works on shaping and establishing the Arabic Islamic Nation is thinking and its consciousness.

Besides that, revealing Western dependence in contemporary Arab thought and the extent to which Arab modernist readers are influenced by Western oriental approaches and methods, this idea manifested itself on identifying the applications of contemporary Western scientific approaches to Islamic religious texts, including Hisham Jait as one of the most notable models, it is also working to open new prospective to reread the Islamic religious text according to the legitimate methods and controls stemming from the Arab-Islamic environment in light of diligence and renewal.The issue behind this study is to revolve around Hicham Jaait's reading of the Quranic text according to contemporary scientific mechanisms, being him a modernist thinker specializing in Islamic history who the traditional fundamentalist readings of the religious text. We therefore address the formulation of the problem as follows:

To what extent is Hicham Jaait influenced by oriental thinking in his contemporary reading of the Quranic text? Where were the overlaps and similarities been reflected in his reading of the Holy Quran with the Oriental Studies? What are the cognitive and methodological takeaways, criticisms and contradictions of Jaait's new reading of the religious text?.

Key words: Quranic text, Scientific Reading, Orientalism and Hicham Jaait.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.22.9

[1] kh.bensayah@lagh-univ.dz

النص القرآني قراءة علمية تجديدية بأبعاد استشراقية

(هشام جعيط نموذجا دراسة تحليلية نقدية)

بن السايح خديجة

د، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر

الملخص

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعمل على تسليط الضوء على النص القرآني في ظل طغيان الإيديولوجية الغربية الحداثوية، وتنبيه العقل الإسلامي إلى خطورة هذه الدراسات التي شوهت مقاصده، من خلال الوقوف على قراءة هشام جعيط المعاصرة للقرآن الكريم، كما تعمل على إبراز خلفيته الغربية الاستشراقية والوقوف على تناقضاته الفكرية والمنهجية ومناقشتها. كما ترمي هذه الدراسة إلى دراسة النص القرآني باعتباره قاعدة تعمل على تشكيل فكر الامة العربية الإسلامية وبلورة وعيها، إلى جانب الكشف عن التبعية الغربية في الفكر العربي المعاصر وعن مدى تأثر القراء الحداثيين العرب بالمناهج والأساليب الغربية الاستشراقية، عن طريق الوقوف على تطبيقات المناهج العلمية الغربية المعاصرة على النصوص الدينية الإسلامية ومن بينهم هشام جعيط كأحد النماذج البارزة، كما تعمل على فتح أفاق جديدة لإعادة قراءة النص الديني الإسلامي وفق الأساليب والضوابط الشرعية.

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول قراءة هشام جعيط للنص القرآني وفق ميكانزمات علمية معاصرة، كونه مفكرا حداثيا متخصصا في التاريخ الإسلامي ناقدا للقراءات الأصولية التراثوية للنص الديني، وعليه نتطرق إلى صياغة الإشكالية على النحو التالي :

إلى مدى تأثر هشام جعيط بالفكر الاستشراقي في قراءته المعاصرة للنص القرآني؟ أين تجسدت مواطن التداخل والتشابه في قراءته للقرآن الكريم مع الدراسات الاستشراقية؟ وما هي المأخذ والانتقادات والتناقضات المعرفية والمنهجية لقراءة جعيط الجديدة للنص للديني؟ 2040.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، قراءة علمية، الاستشراق، هشام جعيط.

المقدمة

إن التأزم والتمزق الذي يشهده المجتمع الإسلامي، كان ولا يزال دافعا قويا لسعي الدارسين والمفكرين العرب للبحث عن مخرج يخلصهم من التأخر الحضاري الذي يعانيه العالم الإسلامي لقرون، وعليه تم تركيز النخب المثقفة على التراث الإسلامي كونه يمثل قاعدة أساسية لتشكل الوعي العربي الإسلامي، حيث تم العمل على إعادة هيكلة وتطوير المنظومة الإسلامية برمتها من أجل الولوج إلى مرحلة الحداثة، وهذا ما أدى إلى ظهور تيار تأويلي يدعو إلى تجديد

النصوص الدينية، من دون الاهتمام بنوعية وطبيعة الأساليب والمناهج المستخدمة في ذلك ولا بالنتائج المترتبة عنها، عن طريق إحداث قطيعة إبستيمولوجية مع القراءات التراثوية، والعمل على تجاوزها باستحداث تأويل معاصر يتناسب مع معطيات العصر الحالي، الذي يسيطر عليه الفكر الغربي بتياراته الفكرية ومذاهبه الفلسفية المتعددة، وهذا ما أقدم عليه المفكر التونسي هشام جعيط الذي رفع لواء تجديد التراث الإسلامي وفق المكنزمات الغربية الخالصة باعتباره منشغلا بقضايا الحداثة ومؤرخ للتاريخ الإسلامي.

وعليه نتطرق إلى صياغة الإشكالية على النحو التالي:

إلى مدى تأثر هشام جعيط بالفكر الاستشراقي في قراءته المعاصرة للنص القرآني؟ أين تجسدت مواطن التداخل والتشابه في قراءته للقرآن الكريم مع الدراسات الاستشراقية؟ وما هي المأخذ والانتقادات والتناقضات المعرفية والمنهجية لقراءة جعيط الجديدة للنص للديني؟

1. مشكلة تأثر القرآن بالأديان السابقة:

1.1. التأثيرات المسيحية:

تطرق جعيط في الفصل الخامس من كتاب السيرة النبوية تاريخية الدعوة المحمدية في مكة إلى مناقشة ما أسماه بمشكلة التأثيرات المسيحية، من خلال إثبات وشائج العلاقة التي تربط الإسلام بالديانات السالفة وجهد في تبيان آثارها على النص القرآني، وانطلق في معالجة هذا الإشكال من حديثه عن البيئة القرشية المكية التي خرج منها الرسول محمد ﷺ داعيا للإسلام من خلال توضيح حالة التثاقف بينها وبين أهل الشام، كونها كانت منفتحة على الصعيد الاقتصادي والديني (التجارة والحج) على العديد من الأقوام "كأهل الشام من عرب ويونان وسريان، وأهل اليمن وأحباش وفرس وعرب الحجاز والنّجد وفيهم البدو والمسيحيون والشعراء" (جعيط،2016.ص161)، هذه الحالة الدينامية التي كان يعيشها المجتمع المكي جعلته يتجاوب مع مختلف الطوائف والأديان وخصوصا المسيحية واليهودية، على اعتبار وجود المسيحية العربية في الشمال واليهودية المتعربة في الجنوب، إلا أن الديانة المسيحية التي كان لها الحظ الأوفر من ناحية الانتشار وفق رأي جعيط، حين وصفها بالدّين العالمي المتفتح مما جعلها أكثر جاذبية مقارنة باليهودية إذ يقول: "المسيحية تزن إذن بوزن كبير على المنطقة، في الشمال والمشرق والجنوب بشكليها اليعقوبي والنسطوري، هي محاصرة للجزيرة العربية والحجاز خاصة، ثم إنها جذّابة للنفس البشرية بقيمها الأخلاقية وبفضل سلوكات الرهبان وأصحاب الصوامع، والواقع أنها اخترقت شعوبا عديدة من بريطانيا إلى أرمينية إلى العراق" (جعيط،2016.ص162)، وهنا يصل جعيط إلى نتيجة مفادها أنه يصعب على محمد الذي ظهر في هذا المحيط أن لا يتأثر بالمسيحية، التي ما فتئت أن ظهرت بشكل جلي في الخطاب القرآني خصوصا الفترة المكية من الدعوة، ثم وصل به الأمر إلى الإقرار أن هذا التأثر وصل إلى حد التماهي أو التطابق بينهما، خصوصا في الفترة الأولى لظهور الإسلام من خلال تحديد أولى معالمه الماورائية المفارقة والجوانب العقدية منه (جعيط،2016.ص163)، وفي هذا الصدد يؤسس جعيط لأقدم تهمة استشراقية تؤكد تأثر الإسلام بالديانات السابقة الغرض منها النيل من أصالة العقيدة الإسلامية، إذ لم يجد جعيط حرجا على الإطلاق في تأسيس موقفه هذا على المستشرقين تور أندري وفلهاوزن إذ يقول: "إن أهم المؤرخين مثل فلهاوزن وتور أندري يقررون قوة التأثير المسيحي وهم محقون في ذلك، والواقع التاريخي آنئذ يشهد على ذلك"(جعيط،2016.ص163).

تمسك جعيط بالاستشراق دراسة وتحليلا واستنتاجا لإثبات كمية التأثيرات المسيحية على الإسلام مستندا إلى أعمال المستشرق تور أندري، كونه عمل عن كثب على تحليل العلاقة القريبة بين المسيحية الشرقية والقرآن، التي تؤكد التأثر الواضح والمباشر بالمسيحية على القرآن، عن طريق المقارنة بين إفرائيم والقرآن (القرآن المكي الأولي) (جعيط،2016.ص164)، وهنا أراد جعيط أن يلعب دور المؤرخ الموضوعي الذي لا يمكنه تجاهل حقيقة التأثير المسيحي على الدين الجديد في مكة خصوصا، وتتمثل مظاهره فيما يلي:

الكارثة الكوسمية وتوصيف الآخرة يرى جعيط استنادا إلى تور أندري أن توصيف الآخرة قاسما مشتركا بين اللاهوت المسيحي والقرآن، فالتأثيرات الإسكاتولوجية نفسها في الكتابين إلى درجة التطابق بداية من مفهوم التقوى، باعتبارها تحث على اتقاء عذاب الله من خلال التقرب إليه بالأعمال الصالحة والإيمان والتقوى، وهو شعور ديني قرآني مرادف لمفهوم الخشية والتقى التي تعتبر من المفاهيم الأساسية لدى الدعاة المسيحيين السوريين، وأهمهم "إفرائيم وهو من آباء الكنيسة، وقد خلّف آثارا باليونانية والسريانية" (جعيط،2016.ص167)، كما أقر جعيط بصحة ما أورده تور أندري حول أن معظم آراء القس إفرائيم تتشابه مع ما ورد في القرآن قائلا: "كان إفرائيم في عِظاته يتجه إلى الشعب من وثنيين ومسيحيين، وفي آثاره أكثر من قاسم مشترك مع القرآن، بل التشابهات كبيرة إلى درجة أنه يصعب على المؤرخ أن يعتبر أنها من محض الصدفة، أو حتى أن هذه الأفكار أخذت بصفة شفوية عن رهبان متجولين سواء في عكاظ أو في اليمن" (جعيط،2016.ص167).

يسرد جعيط تصورات إسكتالوجيا القيامة ونهاية العالم، وفق مقارنة بين آراء إفرائيم والقرآن الكريم، ويتوصل إلى نتيجة مفادها أن هناك تشابها إلى حد التطابق، فبالنسبة لأفرائيم علامات الساعة كارثية من خلال طي السماوات وتساقط النجوم وذوبان الجبال والشمس والمشاهد ذاتها موجودة في القرآن في عدد من السور مثل الانشقاق والانفطار والتكوير والمرسلات وغيرها، كما يتشابه كل من إفرائيم والقرآن في التفاصيل والصور ذاتها التي تعبر عن قيام الساعة، إذ يرى جعيط أن إفرائيم قد حدد نفختان في الصور التي توازيها الآية [8] من سورة الزمر التي تطرح الفكرة ذاتها، إلى جانب التشابه القائم على مستوى تعبير قيام الساعة في لمح البصر فقد وردت نفسها لدى إفرائيم والقرآن ممثلة في سورة النحل الآية [77] (جعيط،2016.ص168).

من الواضح أن جعيط يلقي التهم جزافا دون بحث وتمحيص، وكعادته لم يقدم دليلا واحدا على صحة ادعاءاته واستنتاجاته، ففي حديثه على التشابه القائم بين إفرائيم والقرآن الكريم في قضية الساعة نفخ الصور استدل بالآية الثامنة من سورة الزمر دون أن يتطرق لذكرها وسردها، والحقيقة الصادمة أن هذه الآية لم تتضمن مفهوم يوم القيامة والنفخ في الصور كما ادعى جعيط، بل تحدثت على قضية أخرى لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ الآية [8]. فكيف لمؤرخ مثل جعيط أن يقترف هذا الخطأ الذي يتنافى مع قواعد البحث التاريخي العلمي الموضوعي؟

كما ذكر جعيط أن هناك تشابها بين إفرائيم والقرآن حول فكرة غفلة البشر عن الساعة جرّاء انشغالهم بالدنيا ومفاتنها، وهذه الفكرة أساسية في القرآن، واستعرض جعيط عدة آيات كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ الأنبياء الآية [1] وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ الأنبياء الآية [2-3]، وقوله جل وعلا: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم الآية [7] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ

كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق الآية [22]، ويؤكد جعيط أن نفس المفهوم للغفلة استعمل من طرف الكنيسة السورية كونه يدخل ضمن لغتها الدينية(جعيط،2016.ص171)، والغريب في الأمر أنه لم يستشهد أو يقتبس من نصوص إفرائيم أو الكنيسة السورية حول هذا الموضوع أو حتى المواضي الأخرى التي ذكرها في هذا الصدد ليقيم الحجة على ما تقدم به.

يواصل حعيط تأكيد تأثر النبي ﷺ بالمسيحية السورية، من خلال توصيف الجنة والنار، إذ يقر بأن تور أندري كان محقا أيضا في هذه القضية، حين أكد أن ذكر الجنة والنعيم والتلذذ فيها موجود في آثار الكنيسة السورية والآيات القرآنية على حد سواء فيقول: "وإذا صحّ أن التصوّر القرآني للجنّة ينطوي على عنصر الالتذاذ، فهذه النظرة أيضا من صميم المسيحية في تلك الفترة، سواء المسيحية السورية أو المسيحية العربية" (جعيط،2016.ص169) إذ يؤيد جعيط رأي تور أندري في تصور الإسلام للجنّة الناتج عن التأثر بالمسيحية الشعبية التي تلقته بدورها عن التصورات اليهودية(جعيط،2016.ص169)، ولم يقتصر التأثير على مفهوم الجنة فقط، بل كان التطابق موجودا كذلك في تصور عذاب النار الذي تحدثت عنه المسيحية بنفس الأسلوب القرآني، حيث يقول جعيط : "المسيحية وليس الانجيل تطورت نحو نظرة إلى عذاب النار شبيهة جدا بما أتى به القرآن، بل أكثر شدة حسب تور أندري في القرون الوسطى" (جعيط،2016.ص170).

يذكر جعيط أن هناك تأثيرا واضحا للمسيحية على القرآن في فكرة القرى الظالمة أهلها والأمم الغابرة الكافرة التي دمرها الله بغضبه مثل آل عاد وثمود في القرآن، وأصحاب الجنة (البستان) الذين نسوا الله، واكتفى جعيط هنا بذكر أسماء السور وأرقام الآيات دون إدراجها مثل سورة القلم الآيات [17-32]، وسورة سبأ الآيات [14-16]، ويرى أن هذا النوع من القصص القرآني عن الأمم السابقة موجود بكثرة في الأدبيات المسيحية واليهودية كذلك مثل قصة (قَرَيْن) الموجودة في التلمود، كما يرى أن هؤلاء الأقوام تصدق عليهم عظات الأب إفرائيم، إذ تنطبق عليها أوصاف الكوارث ذاتها (جعيط،2016. ص172) التي تتعرض لها كنوع من الجزاء لأفعالهم، والأمر نفسه يتعلق بالقصص القرآني، حيث يؤكد جعيط أن تور أندري محق في أن الكنيسة السورية كان لها الأثر البالغ في هذا المجال، فالقصص نفسها موجودة في القرآن مثل أسطورة إبراهيم وآدم ونوح، إلى جانب التأثير النسطوري الذي أخذ من العراق واليمن كنسب آل عمران بخصوص موسى وهارون، كونها تسمية جرى العمل بها في سوريا وقصة الإسكندر وأهل الكهف (جعيط،2016. ص174).

وكعادته لم يقدم جعيط دليلا واحدا على كلامه بل رمى التهم جزافا مرة أخرى، إذ لم يقم بعمل المؤرخ الموضوعي، فلم يسرد قصص إفرائيم حتى نتيقن من صحة كلامه في هذا الموضوع، فكل ما تقدم به مجرد اتهامات وشكوك وتكهنات لم يثبتها بالحجة، فتارة يخطئ في الاستشهاد بالآيات القرآنية وتارة لا يذكرها بتاتا وتارات أخرى لا يستشهد بنصوص إفرائيم ولا بنصوص الكنيسة السورية المسحية التي يدعي تشابهها بالقرآن الكريم.

نحن كمسلمين نعتقد أن التشابه في القصص القرآني بين الكتب السماوية أمر وارد وليس بالغريب لأنها تصدر من سراج واحد، فالرسالة الإلهية كانت واحدة في كل الديانات السماوية السالفة وهذه حقيقة معروفة، والتشابه هنا يرجع للمصدر ذاته وهو الله، وهذا لا يدخل ضمن التأثيرات المزعومة، لكن قراءته العلمية للقرآن جعلته يسلك مسلكا آخر يلتقي فيه مع الفكر الاستشراقي قلبا وقالبا، إذ يفسر جعيط تواتر التشابه بين المسيحية والقرآن بالأناجيل التي حررت

بالعربية، ومجموعات الكتابات المسيحية المتعددة التي اطلع عليها محمد ونقل منها فيقول: "ونموذج لبعض الأناجيل المنحولة المكتوبة بلغات شتى وهي مندرجة فيها، أن يكون محمد اطلع على هذه الأدبيات وعلى غيرها، فهذا أمر يصعب نفيه تاريخيا" (جعيط،2016.ص177)، مثل إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى والتراث المسيحي المنحول والعهد الجديد وإنجيل متّى، إذ يوضح جعيط في هذا الصدد أن صور التقارب بين سورة مريم وقصة حياة المسيح ومعجزاته في الأناجيل الأخرى، واعتمد جعيط هنا على المستشرق رينان أكثر المستشرقين تطرفا وتعصبا اتجاه الإسلام فيقول: "وقد لفت منذ القرن التاسع عشر إليه النظر مؤرخ كرينان واعتبر تأثيره على النبي" (جعيط،2016.ص176).

يواصل جعيط سرد التأثيرات المسيحية على القرآن بداية من الأفكار والمواضع وصولا إلى الكلمات والألفاظ، حيث يرى أن المعجم السرياني دخل القرآن أكثر بكثير مقارنة بالمعجم العبري، واستدل في ذلك بالألفاظ التالية:

سبحانك = شُبْحا لك بالسريانية.

تباركت = بَرِيك أتْ بالسريانية.

سبحانك بالله = شُبْحا لك ألَهَا (جعيط،2016.ص172).

كلها اقتباسات من كتاب نور أندري يؤكد من خلالها تأثير المسيحية على القرآن فيقول جعيط: "والأقرب عندي أن القرآن هو الذي عرّبها وأدخلها في لغته، كما عرّب أسماء شعوب قديمة وأنبياء قدامى" (جعيط،2016.ص172)، ويفسر ذلك بضعف المستوى الديني العربي مقارنة بالكتابات العريقة من أجل الطعن في صحة وأصالة النص القرآني، من خلال الأخذ الحرفي عن كتاب المستشرق تور أندري من دون بحث جدي أو تمحيص تاريخي، مع أن ذلك يدخل ضمن تخصصه كمؤرخ حتى أنه وسم الفصل الذي ناقش فيه موضوع التأثيرات بنفس العنوان الذي أورده تور أندري في كتابه بآراء إفرائيم والقرآن، إلا أن جعيط أراد أن يبدو مختلفا بعض الشيء، فظهر وكأنه لم يتفق معه في كيفية تلقى محمد التأثيرات السورية، إذ يرى تور أن محمدا تلقى تلك المعارف بالتلقي الشفوي من الدعاية النسطورية باليمن وتأثير الوعاظ المسيحين بعكاظ مثل شخصية قسّ بن ساعدة (جعيط،2016.ص174)، على أنها فكرة غلبت على المباحث الاستشراقية إلا أنهم يعتقدون بأمية الرسول، ويستغرب جعيط من ذلك إذ يرى أن المستشرقين ذوي فكر متحرر من غير المعقول أنهم يؤمنون بأميته إلا من باب النظرة الدونية للرسول (جعيط،2016. ص ص11-12)، مع أن الواقع يبين أن المستشرقين أجمعوا على إنكار أمية الرسول والرسالة المحمدية، للتأكيد على بشرية القرآن، وأنه مجرد اقتباس من الديانات السابقة من طرف محمد.

يستغرب جعيط من المستشرقين القدماء أمثال بلاشير وماسون وغيرهم بأنهم لم يقروا جهرا بدارسة محمد بالكتابات اللاهوتية حتى بعد اكتشافهم الشبه الكبير بين القرآن والأناجيل المنحولة، والعجيب أن يرجع جعيط السبب في ذلك إلى أن المستشرقين لا يلحون على هذه المسألة لكي لا يجرحوا شعور المسلمين على غرار أعداء الرسول في العصور الوسطى الذين اعتبروا محمد تنكر للمسيحية (جعيط،2016. ص175)، الظاهر أن جعيط أراد قلب الأحداث وتزوير الحقائق لتبرير اختلافه عن خط الاستشراق، لكنه فشل في ذلك لأن معظم كتب المستشرقين تعج بشبهة التأثيرات المسيحية واليهودية المباشرة على القرآن، من أجل الطعن في إلهية النص القرآني والتشكيك في أصالة الإسلام.

ولقد وردت عدة آيات قرآنية ترد على هذه الشبهة منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل الآية [103]، وإذا ورد أي تشابه فإن ذلك يرجع إلى

المصدر الإلهي الواحد للرسالات السماوية التوراة والإنجيل والقرآن لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس الآية [37]، وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى الآية [13]، وقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ الأعلى الآية [18-19]، كما جاء القرآن مصدقا مهيمنا وشاهدا على الكتب السماوية الأخرى لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة الآية [48].

يرى الزمخشري (1074-1143م) في كتابه الكشاف أن القرآن "رقيبا على سائر الكتب، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات" (العتابي،2018.ص113)، كما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور (1879-1973م) في كتابه تفسير التحرير والتنوير: "وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع مقرر له، من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدّق، أي محقق ومقرر، وهو أيضا مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة" (جبريل،2002. ص ص59-60)، حيث يتضح أن القرآن جاء مصدقا للكتب والصحف، فالقرآن الكريم لم ينف تلك العلاقة بين الكتب السماوية، فلا يوجد فرق بينهم من حيث التعاليم والسنن والمواعظ والعبر، فأوامر موسى ومواعظ عيسى مذكورة في القرآن الكريم، وهذا دليل على المصدر الإلهي للأديان ويدحض ذلك شبهة الانتحال من الأديان السابقة لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إله إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ آل عمران الآية [2-4] (بدوي،2002.ص126).

كما يمكن تفنيد شبهة الأخذ الصريح من الديانات السالفة حينما نتجه للاختلاف الجوهري للعقائد بين الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية، حيث نفى القرآن مسألة التثليث في المسيحية لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المائدة الآية [73]، كما فنّد القرآن تأليه الرسل والأنبياء حيث كفّر القائلين بإلهية المسيح عيسى عليه السلام وأمه مريم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة الآية [72]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الزخرف الآية [59]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران الآية [59]، كما أكد القرآن على بشرية عيسى لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ آل عمران [51]، وأكد الإسلام كذلك على بشرية مريم عليها السلام لقوله تعالى: ﴿وأُمُّه صِدِّيقَة﴾ المائدة الآية [75]، كما أن العقيدة الإسلامية مبنية على فكرة التوحيد المطلق لله وتخالف بذلك عقائد الديانات الأخرى لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص الآية [1-4].

إن الواقع يثبت عكس ما قدمه جعيط بالنسبة لإنكار المستشرقين الاعتراف بالتأثيرات المسيحية، إذ لم يبحث الاستشراق في نبوّة محمد وحقيقة الإسلام والنص القرآني بحثا عقديا على مستوى الشكل أو المضمون، بل انصبت جل مجهوداتهم على رصد الشبه بين الإسلام والديانات الأخرى باعتبارها مصدرا رئيسيا في تكوين الإسلام، حيث أكد جل المستشرقين على المرجعية المسيحية للقرآن إما بشكل مباشر أو غير مباشر مثل ما فعل لامنس وبلاشير وبروكلمان ووات وماسينيون وغيرهم (شايب،2002.ص442) إلى جانب توماس كارليل وفينسينكر(A.Wensinck J 1882-1939م)

الذي قال: "إن القرآن كتاب مسيحي ينسخه محمد ﷺ"، (علي،1994.ص57)، كما قال بهذا الرأي بودلي وجيب حيث أجمعوا على انتحال محمد من الإنجيل (على،1994.ص57) الذي كان حاضرا بقوة في النص القرآني.

أما بالنسبة لوجود تشابه بين اللغة العربية والسريانية كما زعم جعيط، هذا طبيعي لأن اللغتين ينحدران من أصل واحد هو السامية، إلى جانب التجاذبات التجارية والفكرية بحكم قرب المسافة، فكما يوجد كلمات سريانية في العربية توجد كذلك كلمات عربية دخلت السريانية، الأمر نفسه بالنسبة إلى افتراض وجود تشابه في عبارتي الصلاة والتسبيح، ويعود ذلك إلى الأصل اللغوي ولا يعود للتأثير السرياني على العربية، لأن عبارتي الصلات والتسبيح أصلها الحقيقي عربي، حيث أقرت ذلك المعاجم العربية، أما لفظ الجلالة الله لم يكن في السريانية فقط، لأن الاسم لم يكن غريبا عن العرب بشكل عام ولا عن قريش بشكل خاص، وقد تداول منذ القديم أيام عاد وثمود وإسماعيل عليه السلام (الكبير،2008.ص160)، مما يؤكد بطلان زعم جعيط حول مسألة التأثيرات المسيحية في القرآن، حيث أقر ذلك بنفسه حينما قال " أن تأثير السريانية بالعربية والقرآن الكريم "يبقي مشكلة معلقة" (جعيط،2016.ص173).

2.1. التأثيرات اليهودية:

لم يتوقف جعيط عن اتهام القرآن بالانتحال من المسيحية من خلال تأثيرات الكنيسة السورية وأراء الأب إفرائيم والتصورات الاسكاتولوجية، وإنما واصل ليؤكد التأثيرات اليهودية على النص القرآني، ونلحظ هنا تأثره بأفكار أستاذه المستشرق اليهودي كلود كاهن الذي كان مقتنعا كغيره من المستشرقين بأن النص القرآني ما هو إلا نسخة عن الأديان السابقة، حيث أكد كاهن التأثير اليهودي على القرآن قائلا: "أن أوجه الوفاق بين القرآن والتوراة مردّها إلى تلك المحاورات التي كان محمد وصحابته يحاورون بها العامة من يهود يثرب"(كاهن،1972.ص16) ، وذهب كاهن إلى أبعد من ذلك حين أورد أن النبي محمد كان مولع بمناظرة يهود المدينة ولما عجز عن ذلك أقدم على مضايقتهم عن طريق العنف والقتل والتهجير(كاهن،1972.ص17).

من الواضح أن جعيط ينحو نحو أستاذه في هذه المسألة، إلا أنه لم يتخل عن أراء تور أندري لتأكيد التأثيرات اليهودية على النص القرآني، حيث نجده يؤيد رأيه القائل بأن التصور القرآني للجنّة متأثر بالمسيحية الشعبية المأخوذة عن التصورات اليهودية لعهد المسيح اليهودي على هذه الأرض (جعيط،2016. ص169-173)، وينقل جعيط عن أندري تور أن هناك الكثير من الأفكار الدينية الخاصة باليهودية "الهجّادية" وجدت طريقها إلى النص القرآني وأصبحت تشكل جزءا كبيرا من مواضيعه وقضاياه (جعيط،2016.ص179).

تصاعدت أفكار جعيط في هذا الصدد حول التأثيرات المسيحية واليهودية في القرآن لدرجة تشبيه النبي محمد بـ ماني في قضية نقل الأفكار الدينية فيقول: "نبي كارزمي مثل محمد ونفس الشيء بالنسبة لماني وهو من المغتسلة الذين دمجوا التراث اليهودي المسيحي بأفكارهم" (جعيط،2016.ص179)، الأمر الذي أدى إلى وجود تشابه عميق وشامل خصوصا في مسألة التشريعات المدنية، وهنا يورد جعيط ما أقر به تور أندري والباحثون الذين أتوا بعده التشابهات بل التطابقات بين القرآن واليهودية، حيث أكد أن البدء ب: "(بسم الله) للسور القرآنية وجد من قبل في الديانتين اليهودية والمسيحية (زبورXX، 8 ومتّى 39 ، 23) إلى جانب فكرة السبع سماوات من الكوسمولوجيا البابلية والمنحولات اليهودية (معراج عيساي، XI، 32) وتوبة آدم بعد الخطيئة موجودة في تلمود (عَرُبين، 18 ب)" (جعيط،2016.ص180)، على الرغم من ذلك لم يستشهد جعيط كعادته بنص مسيحي أو يهودي تظهر فيه البسملة

بشكل واضح فكلها ادعاءات واهية، حيث أثبتت المصادر أنه لم توجد ترجمة للتوراة قبل الإسلام، ذلك أن أول ترجمة كانت بعد قرن من ظهور الإسلام حين ترجمه أسقف إشبيلية يوحنا الأول، وكانت هذه أول ترجمة إلى العربية سنة 750م، ثم ترجمها سعدية بن يوسف عام 942م، وكتبها بأحرف عبرية، ثم كتبها يافث ابن علي في أوائل القرن بأحرف عربية (زناتي،1998.ص99) ، كما سبق وأن فندنا شبهة تطابق القرآن مع الديانات السابقة نظرا للفروقات العقدية، حيث صحح القرآن فكرة التأليه بالنسبة لليهود والنصارى لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة الآية [30].

والغريب أن نجد جعيط ينهي مبحث التأثيرات المسيحية واليهودية على القرآن الكريم قائلا: "لكن القرآن يستعمل هذا التراث من دون أن يخضع له، فهو يتخيّر ويعدّل ويبتعد عنه أحيانا عن عمد ليأتي برؤيته الخاصة، فالنبي ليس بتيولوجي ولا بمؤرخ، وإنما نبي ملهم مبدع دين كامل...هو تركيبي ومجدّد"(جعيط،2016.ص180)، تعهد جعيط بالالتزام بالمنهج العلمي "بتتبع ما يقوله كل دين عن نفسه: القرآن، وهو الكتاب المقدس لدى المسلمين، يقول إنه وحي من الله وكلام الله وأن محمدا رسول الله أُنزل عليه هذا القرآن" (جعيط،2015.ص94)، غير أنه لم يلتزم بما تعهد به، فالقرآن لم يذكر أو يثبت مسألة تأثره أو تشابهه بالديانات السابقة، في حين نجد جعيط يؤكد ويصر على وجود تأثير عميق لدرجة التطابق باليهودية والمسيحية.

2. تاريخية الخطاب القرآني:

1.2. نقد اللغة القرآنية:

معروف أن القرآن الكريم رسالة سماوية عالمية يحمل أسمى المعاني بأدق الكلمات وأوضح التعابير لأنه يخاطب العقول والقلوب معا، إلا أن هشام جعيط كانت له رؤية مغايرة تماما تتوافق مع قراءته النقدية للتراث الإسلامي، فبعد تشكيكه في النبوّة والوحي ها هو الآن يتوجه إلى الطعن في اللغة القرآنية مدعيا أنها تتضمن أخطاء وهفوات في الأسلوب اللغوي والتعبيري، كما تحتوي على العديد من النقائص والتناقضات انطلاقا من الزيادة والنقصان الناجم عن تحريف النص القرآني، على الرغم من أن حديثه عن القرآن كانت تكتسيه عبارات تبجيلية تعظم من شأنه فعبر عن اعجابه بأسلوبه وتعابيره وصوره فيقول: "وحده القرآن جمع بين دقة التعبير، والكلمة المثيرة والعمق الكوسمي، والوضوح الكامل البيّن، وهذا من أهم خصائصه" (جعيط،2015.ص7)، ويرجع ذلك إلى تناقضات جعيط التي لا تنتهي.

يرى جعيط أن هناك تكرار واضح على مستوى الآيات القرآنية التي أعيد ذكرها مرتين أو أكثر وعلل ذلك بالطابع الشفهي للقرآن في بدايته (جعيط،2016.ص23)، حيث كان يعتمد على المشافهة ولم يكن مكتوبا مما جعله يتميز بالإطناب، من الواضح أن جعيط أصدر أحكامه على اللغة القرآنية دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب عن مواطن التكرار والهدف منه خاصة أن النص القرآني يتميز بفصاحة اللغة ورصانة الأسلوب.

لم يتفطن جعيط كغيره من المستشرقين أن التكرار لا يعيب القرآن لأنه مقصود وغرضه أهداف إيمانية أخلاقية تربوية لقوله تعالى:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾الذاريات الآية [55] (الكبير،2008.ص160)، والقرآن كلام إلهي محكم هادف، ومثال التكرار في القصص القرآني الذي كان يقصد الموعظة والسداد، لأن منها ما يحث على الإيمان والطاعة ومنها ما ينهي العصيان والكفر إلى جانب تكرار الوعد والوعيد، وتكرار الأحكام والمدح من أجل الاهتمام بالطاعات وترغيبها والاهتمام بترك المخالفات، إلى جانب تكرار الأمثال دلالة على الاعتناء بالإيضاح والبيان

(الجبري،1999.ص137)، ذلك أن القرآن يتميز بأسلوب لغوي محكم حتى التكرار لديه غرض لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الزمر الآية [23]، ويمكننا الاستشهاد في هذه المسألة بالوليد ابن المغيرة ابن البيئة العربية القرشية العارف باللغة العربية ومكنوناتها حين شهد على إعجاز اللغة القرآنية وبلاغتها وفصاحتها وجزالتها، فيقول: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته" (زناتي،1998.ص74)، وقد ورد التكرار في العديد من السور القرآنية، لكن ليس بسبب المشافهة كما زعم جعيط، وإنما من أجل تحقيق الأهداف التربوية الأخلاقية والدينية التي حث عليها النص القرآني مثال ذلك سورة التكاثر لقوله تعالى: ﴿اَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ التكاثر الآية [1-5]، حيث تكرر الزجر في السورة ثلاث مرات من أجل الاهتمام بالاستعداد للميعاد (الجبري،1999.ص139)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ الكافرون الآية [1-5]، فقد جاء قوله: "ولا أنا عابد ما عبدتم" توكيد لقوله "لا أعبد ما تعبدون" وقوله "ولا أنتم عابدون ما أعبد" الثانية تأكيد لقوله: "ولا أنتم عابدون ما أعبد" الأولى، فوردت الآية الرابعة والخامسة تأكيدا للثانية والثالثة من السورة، وقد أثنى ابن تيمية على تكرار قصة سيدنا موسى مع فرعون كونهما يمثلا طرفي النقيض، الحق والباطل وصارت من أعظم القصص القرآني، لما تحمله من عبر لأهل الإيمان والكفر(الجبري،1999.ص138-141).

يرى جعيط أن اللغة القرآنية لغة أسطورية وهي تشترك في ذلك مع بقية الكتب المقدسة فيقول: "والحقيقة أيضا أن اللغة القرآنية على صعيد علاقتها بالوعي هي لغة ذات بنية ميثية، وأن للرمزية والعمل الأسطوري أخيرا نوعيتهما في القرآن" (جعيط،1984.ص132)، ويرى أن سبب ذلك هو اقتباس القرآن من العطاء الأسطوري للأديان السابقة خصوصا التوراة، على اعتبار شراكة الضمير الديني للموضوعات المطروحة إلا أن القرآن صاغه بطريقته الخاصة التي قاربت الحقيقة (جعيط،1984.ص133)، ويشبهها في ذلك بالتوراة على صعيد الحقيقة، وهذا يؤدي إلى تكريس فكرة اقتباس القرآن من الديانات التي سبقتها وعليه تتأكد فرضية بشرية القرآن كونه تأليف النبي محمد، كل ذلك يندرج ضمن الطعن والتشكيك في إلهية النص القرآني الذي مارسه المستشرقون جيلا بعد جيل.

من المعروف أن النص القرآني يتميز عن غيره من النصوص بالبلاغة اللغوية العالية، وجلالة وقداسة فهو كلام الله تعالى المنزه، الذي لا يحتاج إلى الخيال والأسطورة "فالقرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا" (ابن كثير،2000.ص1603)، ثم إن اشتراك القرآن مع التوراة أو الإنجيل في القصص، لا يلغي حقيقتها وواقعيتها التاريخية، فهي تروي أخبار صادقة عن الأولين والأحداث التي عاشها الأنبياء الأوائل مع أقوامهم، من أجل أخذ العبر وتصحيح العقائد، وبيان أصول الشرائع وأسس الدعوة الإلهية، التي يشترك فيها الأنبياء جميعهم لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف الآية [111].

يعتقد جعيط بوجود تناقضات في النص القرآني، فيقول: "إن احتواء القرآن على قانون وأخلاقية وحتى على تناقضات أكسبه تأثيرا عظيما ومعنا مطلقا، فالتناقضات موجودة في كل الأديان الكبرى، وهي التي تجعلها تجيب على كل تساؤل وتتجه إلى كل الأفراد والجماعات بتعدد حاجاتهم ورؤاهم، ومع تناقض عقولهم وأهوائهم"(جعيط،2015. ص10)، فكثيرا ما ردد المستشرقون شبهة التناقض في الآيات القرآنية من أجل الطعن في صحة أحكامه، وتشريعاته من خلال التعسف في تأويل المتشابه في القرآن وإهمال المحكم سواء عمدا أو جهلا منهم.

من الواضح أن هذا ادعاء باطل، لأن القرآن أثبت العكس تماما حيث يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء الآية [82]، كما يقول الكرماني (1317-1384م): "الاختلاف على وجهين، اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن، واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السُوَّر والآيات، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي والوعد والوعيد" (حسين،2014.ص250)، ثم إن القرآن موجه إلى كافة البشر على اختلاف أطيافهم وتناقض مللهم، ويؤكد ذلك على خلوه من التناقض، فكانت لديه القدرة على اجماع الناس على قواعده وتشريعاته رغم اختلافهم.

2.2. تحريف النص القرآني بالزيادة والنقصان:

آثر هشام جعيط قراءة النص القرآني قراءة علمية نتج عنها التشكيك في إلهية الوحي، ثم تتابعت الاتهامات أو بالأحرى الشبهات حول النص القرآن، إلى أن أقر مسألة تحريف النص القرآني إما بالزيادة أو بالنقصان على مستوى مضامين آيات السور القرآنية، حيث زعم أنه تم إقحام كلمات أو عبارات لم ينطق بها النبي، كما حصل إسقاط لبعض من العبارات أو لم يتم تسجيلها في النص القرآني (جعيط،2016.ص22)، حيث زعم أن القرآن تعرض للتحريف من خلال الإضافات والزيادات في النص القرآني في عدة مناسبات، شملت سور مكية وأخرى مدنية، وتطرق لذكر ثلاث سور أولها سورة الشورى التي أكد أنها تعرضت للتحريف عن طريق إقحام عبارة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشورى الآية [38] حيث يقول: "مثلا عبارة وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ لا تنسجم مع نسق الآية التي وضعت فيها، ومعروف أنّ عثمان نفسه انتُخب بعملية شورى، كما لا نرى ماذا يكون أَمْرُهُمْ هذا أي حكم المسلمين لأنفسهم في زمن النبي (جعيط،2016.ص23)، إذ لم يستبعد جعيط أن النبي محمد كان يثري النص القرآني بتعمقه له (جعيط،2016.ص248)، وعليه يتزايد الاعتقاد بفرضية حصول زيادات كثيرة في القرآن سواء من النبي أو من المسلمين بعده.

لم يقدم جعيط دليلا علمي تاريخي صحيح ولا ضعيف يؤيد طرحه هذا، كما أن استنتاجاته تفتقد للعقلانية والمنطق، لأن كل ما قدمه لا يخرج عن دائرة الاحتمالات التي تقابلها احتمالات تناقضها، أو تنفيها في قضية الزيادة أو النقصان في القرآن، فمن غير المعقول الحكم في هذه القضية بالاعتماد على الاحتمال النظري وتناسي الأحداث الواقعية، ويمكن الرد على جعيط بما يلي:

بالنسبة لسياق سورة الشورى والجدوى منها فإنها تختلف تماما عن تحليلات واستنتاجات جعيط، لأن في سورة الشورى تتضمن تنويه بأخلاق المؤمنين وتوجيههم إلى خير سبل الحق والعدل والكرامة والقوة (دروزة،2000.ص435)، كما ورد في تفسير الطبري "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" يقول: "إذا حَزَبَهُم أمرٌ تشاوروا بينهم" (الطبري،2001.ص499)، أما ابن كثير فذهب لتفسير الآية بمعنى أنهم لا يقدمون على أمر حتى يتشاوروا فيه، للمساعدة بآرائهم في أمور عدة كمسائل الحروب لقوله تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران الآية [159]، فالرسول ﷺ كان يتشاور مع الصحابة في القضايا ليتقرب منهم وليطيب بذلك قلوبهم وبقى منهجا معمولا به حتى وفاته، حيث عمل به عمر بن الخطاب قبل وفاته، وجعل الأمر بعده شورى بين الصحابة الذين اتفقوا كلهم على تقديم عثمان عليهم (ابن كثير،2000.ص1672)، وبذلك تبطل مزاعم جعيط حول إضافة هذه الآية للسورة، حيث عمل الرسول ﷺ بمبدأ الشورى في حياته في عدة مناسبات، روى البخاري أنه في حادثة الإفك شاور الرسول صحابته فيقول: "شاور عليًّا وأسامة

فيما رمى به أهل الإفك عائشة، فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله" (العسقلاني،2005. ص279)، كما شاور الرسول ﷺ صحابته بشأن الغزوات، ففي غزوة الخندق أخذ الرسول ﷺ برأي الصحابي سلمان الفارسي الذي أشار عليه بحفر الخندق حول المدينة ليتحصن به المسلمون (هيكل،2012.ص258)، كما أخذ برأي الحباب ابن المنذر في مكان غزوة بدر، فقال ﷺ بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل ثم أشار إلى مكان...فما لبث الرسول أن قام ومن معه واتبع رأي خباب (هيكل،2012.ص318).

أما بالنسبة لمسألة سياقها وتناسقها مع فحوى السورة نجدها تناسب تماما وتبطل مزاعم جعيط في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ الشورى الآية [37-38-39]، والواضح أن الآية [38] تتناسق مع ما قبلها وما بعدها من الآيات، وكان غرضها توضيح مبدأ شورى لدى المسلمين، وأنها ليست مضافة لغرض الإمامة (الكبير،2008.ص161)، حتى وإن سلمنا أنها كذلك فهذا ليس دليلا على أنها مقحمة في النص القرآني.

كما أكد جعيط على تحريف القرآن في سورة النجم الآية [23] لقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾، إذ يرى جعيط أن هذه الآية لم تكن موجودة في السورة وأنها مضافة إلى النص القرآني في فترة لاحقة لا تمت بصلة للفترة الأولى من الدعوة فيقول: "من الواضح تماما أن هذه الآية مضافة إلى النص في فترة لاحقة لا تبعد عما قيل من قبل في المقطع، أي الآيات 19 و 20 و 21 و 22 و 24 و 25 إلى حدود **فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ**، الآية [23] دخيلة على النص الأولي" (جعيط،2016 ص218) ويعزو جعيط ذلك للأسباب التالية:

- طول الآية.
- عدم تناسقها مع الآيات التي قبلها وبعدها.
- عدم احترام لإيقاع الآيات الأخرى (التي قبلها وبعدها).
- أنها تعبير عن موقف القرآن من الآلهة تأكيد للتوحيد فيقول: "ولهذا أضيفت وأقحمت في النص ليكون الموقف واضحا" (جعيط،2016 ص219).

كما يضيف جعيط أن الآية [23] من سورة النجم كانت سببا في غضب قريش وتحويل موقفها إلى العداوة وكذا تصعيد موقف النبي، حيث تم تحوير مسار الدعوة عندما ذكر آلهة قريش بسوء وعابها (جعيط،2016.ص217) في المقطع الثاني من السورة تحول مفهوم الشرك عن طريق الدعوة للتوحيد، واعتمد جعيط في حكمه هذا على ترتيب المستشرقان نولدكه وبلاشير للسور والآيات القرآنية وأقر أحقية ما ذهبوا إليه في مسألة ترتيب القرآن الأمر الذي جعله يجزم بإضافة هذه الآية (جعيط،2016.ص218).

ويمكننا أن نرد على جعيط بما وضحه ابن كثير في تفسيره للآية [23] والآيات التي قبلها وبعدها من سورة النجم، انطلاقا من أنها كانت كلها تصب في معنى واحد بداية من ذكر آلهة المشركين اللات والعزى ومناة الثالثة، وصولا إلى تقريع قريش على عبادة الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذ بيوت لها، ثم قال لكم الذكر وله الأنثى وتجعلون ولده الأنثى وتختارون لأنفسكم الذكور وهذه قسمة باطلة (قسمة ضيزى)، وأنها مجرد أسماء سميتموها من تلقاء أنفسكم ما أنزل

الله عليها من سلطان وليس لها حجة أو دليل، وليس لها مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل، وقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة الدامغة ومع ذلك اتبعوا أهوائهم ولم ينقادوا له، وأن لله الأمر كله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فيها (ابن كثير،2000.ص1780)، لقوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ النجم الآية [20-21-22-23-24-25].

وقد ورد في الطبري أن الآية [23] من سورة النجم تشرح وتكمل الآية [19 و20]، وتفسر أن هذه الأوثان التي سميتموها باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم المشركون بالله، ولم يبح الله في تلك الأسماء ولم يأذن بها، ثم جاءهم بعد ذلك الهدي من ربهم وبيان الحقيقة، حيث بين الوحي الإلهي أنه لا ينبغي عبادتها ولا تصلح العبادة إلا لله تعالى (الطبري،2002.ص148)، وعلى ذلك يبطل زعم جعيط، فالآيات متناسقة من حيث الشكل والمعنى، ولم يقدم دليلا واحد يثبت رأيه، أما من ناحية الشكل من حيث طول الآية مقارنة بالنسبة للآيات السابقة واللاحقة فهذا زعم باطل كذلك، لأنها ليست الآية الوحيدة الطويلة في السورة، فكل من الآية [26-27-28-30-31-32] كلها كانت آيات طويلة تليها آيات قصار، ذلك أن كل السور القرآنية تنطوي على آيات قصيرة وأخرى طويلة، وهذا ليس بغريب على النص القرآني، لأن طول الآيات أو قصرها لا يؤثر على الهدف والغاية والمعنى، ولا على التناسق والتناغم بين الآيات القرآنية.

أما بالنسبة لسورة البروج يدعي جعيط أن الآية [10] من هذه السورة تدخل في نطاق الزيادة في القرآن، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ البروج الآية [10]، حيث يرى جعيط أن هذه الآية متأخرة ومضافة، وبرر ذلك بما يلي:

- أن كلمة يتوبوا (التوبة) تنتمي للفترة المدنية المتأخرة، ولا تنتمي للفترة المكية المتقدمة، حيث كانت تناقش مسألة الفتنة الأولى في الآلام (فتنة المستضعفين) (جعيط،2016.ص255).
- أن كلمة يتوبوا لا تتلاءم مع الحقبة الأولى للدعوة.
- أن هذه الآية تندرج ضمن معجم الفترة الثانية من الدعوة فيقول: "وفيما يخص قناعتي هي أن هذه الآية متأخرة تأتي أيضا من كون كلمة "تاب" "يتوب" ليست في معجم الفترة الأولى بل من الثانية والثالثة وأكثر من ذلك المدنية" (جعيط،2016.ص255).
- وأن كلا المستشرقين بلاشير ونولدكه أكدا أنها مضافة، وأنها تنتمي إلى فترة متأخرة من الدعوة خصوصا نولدكه الذي يعزو إضافتها إلى الرسول محمد ﷺ، وقد وافقه جعيط على ذلك فيقول: "نولدكه يقول عن الآية المعنية وما قبلها وما بعدها، أي من الآية [8] إلى الآية [11] إضافة متأخرة ربما قام بها محمد نفسه، إذ هي تختلف عن الآيات الأخرى" (جعيط،2016.ص255)، أخذ جعيط المعلومة مباشرة وبنى عليها حكمه القاضي بتحريف القرآن من دون التأكد من صحتها أو خطئها.

ذكر ابن كثير في تفسيره لسورة البروج أنها سورة مكية، حيث قال الإمام أحمد: "حدثنا عبد الصمد، حدثنا رزيق بن أبي سلمى، حدثنا أبو المهزّم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء

والطارق" (ابن كثير،2000.ص1978)، كما تضمنت سورة البروج حملة على الكفار لاضطهادهم المؤمنين والمؤمنات الضعاف وتحريضهم على الفتنة على الإسلام، وإشارة إلى إنذاره إلى حادث مماثل وتثبيت للمؤمنين والتذكير بمصائر الطغاة كفرعون وثمود، فالآيات متصلة ببعضها بعضا نظما وموضوعا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ البروج الآية [10-11]، وفي هذا الصدد يصرف المفسرون ضمير الفاعل في الآية الأولى [10] من سورة البروج إلى أصحاب الأخدود ويقولون أن الوعيد فيها لهم وأن عذاب الحريق هو مقابلة عينية لما فعلوه مع حرقهم للمؤمنين في نار الأخدود، أما جملة "لم يتوبوا" أرجعها المفسرون إلى الفترة الأولى كونها تعود على أصحاب الأخدود الذين انقضى أمرهم ولم يعد لهم الحق في التوبة، كما تدل هذه الجملة على المشركين في مكة، الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وقت نزولها، حيث كانوا يؤذون ضعفاء المؤمنين عن طريق إرغامهم على ترك الإسلام عنوة (دروزة،2000.ص ص143-147).

كما أن هناك علاقة وطيدة بين الآيتين [10 و11] من سورة البروج كونهما يكملان بعضهما البعض، فالآية [11] تكمل الآية [10] التي تضمنت الوعيد لفاتني المؤمنين والمؤمنات إذا لم يتوبوا، كما تضمنت الآية [11] بشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات وتثبيتا لهم وتذكير برحمة الله وغفرانه.

3.2. تاريخية القرآن المكي والمدني:

اهتم هشام جعيط بمسألة الترتيب التاريخي للقرآن الكريم، إذ يرى أن عملية جمعه ترجع في بدايتها إلى الرسول محمد ﷺ، فبعد الدراسة والتحليل أكد أن النبي ﷺ هو من قام "بتنظيمه وهيكلته ومراقبة محتواه، بل إن النص سجله هو كتابيا من الأصل في مكة ذاتها ولم يبقى طويلا في شكله الشفوي"(جعيط،2016.ص22)، حيث سهر الرسول على ذلك طيلة الفترة الأخيرة من حياته، واستبعد جعيط فرضية إهماله للقرآن كونه يمثل أساس الدعوة والتشريع، وساعد في ذلك تمكن العرب من القراءة والكتابة على أوراق البردي بما فيهم النبي ﷺ، الذي أشرف على تدوين النص القرآني بنفسه، إلا أنه تساءل بعد ذلك عن ترتيب القرآن وعناوين السور، هل كان عمل النبي ذاته أو عمل عثمان (جعيط،2016.ص22).

أكد جعيط على أمانة النبي والخلفاء من بعده على حفظ القرآن الكريم والحرص على الإبقاء على الرسالة الإلهية التي جمعت في عدة مصاحف، إلا أنه يعترف بأفضلية مصحف عثمان على بقية المصاحف المتبقية كمصحف "أبيّ، عبد الله بن مسعود، علي" (جعيط،2016.ص23)، ومن مفارقات جعيط العديدة أنه انتقد المستشرقين المشككين في مصحف عثمان بداية من المستشرق جيفري (Arthur Jeffery 1892-1959م) وصولا إلى المستشرقين الجدد أمثال وانسبرو وكرون، ورأى أن تشكيكهم في مصحف عثمان لا يصمد أمام الفحص والنقد التاريخي (جعيط،2016.ص24) إلا أنه ما لبث أن غير موقفه حينما تعرض للتحليل التاريخي للقرآن وترتيب سوره وتحقيقها، حيث اعتمد اعتمادا كليا على دراسة المستشرق نولدكه من خلال مؤلفه الشهير تاريخ القرآن، إلى جانب دراسة المستشرق بلاشير، حيث تضمن كتابه تاريخية الدعوة المحمدية عرضا مفصلا للترتيب التاريخي للقرآن لكل منهما، إلا أنه أكد على أهمية عمل نولدكه في هذا المجال، كما اعتبر أن أعمال نولدكه وبلاشير تدخل في نطاق العلم الحديث الخاص بعلوم القرآن، الأمر الذي جعله ينفي عنهما لقب الاستشراق قائلا "وأعرض هنا للقارئ ترتيب السور من طرف العالمين الأوربيين المذكورين"

(جعيط،2016.ص182)، ونلحظ في ذلك عدم اكتراث جعيط بأعمال العلماء المسلمين اللذين بذلوا جهدا كبيرا في تفكيك وترتيب السور والآيات القرآنية المكية والمدنية المتداخلة، خاصة وأنه أقر سابقا باعتناء النبي بكتابة القرآن والصحابة من بعده، إلا أنه اعتمد اعتمادا كليا على الفكر الاستشراقي وعلل ذلك بما يلي:

- التوسل بالعلم الحديث الخاص بعلوم القرآن المتمثل في كتاب نولدكه تاريخ القرآن.
- أن الترتيب الاستشراقي للقرآن يساعد على فهم تطور المعاني القرآنية.
- تتبع تطور الدعوة المحمدية واستيعاب فعالياتها المكية والمدنية.

وعليه سرد جعيط الترتيب التاريخي للسور القرآنية سردا مفصلا بداية من الفترة المكية الأولى موضحا دور القرآن المكي في تثبيت الدعوة كونه تضمن أسسها من خلال 48 سورة قرآنية (جعيط،2016.ص182)، أبرزت الصراع القائم بين المؤمنين والكافرين، وفي هذا الصدد أشاد جعيط بجهود نودلكه الذي تفطن لتلك الصراعات والمشاحنات والعلاقة الدينامية بين القرآن والمجتمع القرشي (جعيط،2016.ص198)، كما تميزت سور هذه الفترة بالنبرة القوية المفعمة بالصور وكثر فيها أسلوب القسم كما يتضح من خلالها هجوم النبي على خصومه، وأن أغلب سور هذه الفترة قصيرة (نولدكه،2008.ص ص68-69).

ثم ينتقل نولدكه إلى الفترة المكية الثانية التي يعتبرها مزيجا من الفترة المكية الأولى والثالثة من ناحية الخصائص لكن على نحو أضعف (نولدكه،2008.ص105)، إلا أن ترتيبها التاريخي يساعد على فهم منطق الأحداث وتحقيبها الحقيقي على حد تعبير جعيط، خصوصا عندما نستقرئ أوائل سور الفترة المكية الثانية مثل سورة القمر، الصافات، نوح، حيث نجد تغيرا في الخطاب القرآني جراء السجال الحاد بين الطرفين، إذ تكررت أوصاف الكافرين والمجرمين والظالمين، والتأكيد على الوحدانية المقترنة بالوعد والوعيد (جعيط،2016.ص198)، والتعذيب والتهديد.

أما الفترة المكية الثالثة شهدت مفهوما مغايرا للكفر الذي كان يدل في الفترة المكية الثانية، على الجحود وعدم الشكر، وأصبح في الفترة الثالثة يدل على التعارض مع مفهوم الإيمان أي الكفر بوحدانية الله الأمر الذي أجج الصراع بين محمد وقريش، إذ يرى جعيط أن ذلك الصراع هو ما غذى الخطاب القرآني عن طريق الجدال والمحاجة، ثم تطور مفهوم الكفر إلى الشرك الذي يمثل أعلى مراتب الكفر، حيث امتد إلى الفترة المدنية (جعيط،2016. ص199-200)، ويرى نولدكه أن سور هذه الفترة تميزت بلغة الإطناب والتكرار، وأن بعض سورها طويلة وتميزت بتوجيه الخطاب القرآني بعبارة يا أيها الناس (نولدكه،2008.ص ص128-129).

ينتهي ترتيب نولدكه للسور القرآنية بالمرحلة المدنية التي كانت مليئة بالأحداث والصراعات مقارنة بالفترة المكية، حيث تميزت سور القرآن المدني بالطابع السياسي بامتياز (جعيط،2016.ص183)، إلى جانب خلوها من التعاليم العقائدية والأخلاقية، وتميز الخطاب القرآني في هذه المرحلة بتوجيه عبارة "يا أيها الذين آمنوا" وكان النبي قائدا ومشرعا، كما تميزت سورها بالطول (نولدكه،2008.ص148-155).

الغريب أن جعيط اعتمد اعتمادا كليا في الترتيب التاريخي للسور القرآنية على دراسة نولدكه لتاريخية القرآن، وقدم هذه الدراسة على أنها صحيحة ودقيقة وموثوق منها على الرغم من أن نولدكه نفسه صرّح عكس ذلك تماما، فكان على الدوام يقر أن ترتيبه للسور القرآنية يفتقد للدقة والصحة التاريخية من خلال الفترات التاريخية المختلفة لنزول القرآن، كما اعترف بعجزه في تأكيد زمن نشوء بعض السور المكية للفترة الأولى، وأن كل ما قدمه لا يخرج عن كونه

محاولات تقريبية لا أكثر (نولدكه،2008.ص155) فيقول: "نُلحِق بسور الفترة الأولى بعض السور القصيرة التي تعتبر صيغ إيمان وقسم، وبالرغم من تعذر الدقة في تحديد قدمها، بسبب قصرها وشذوذها بالكامل عن السور الأخرى، مما يفقدنا ما يمكننا التمسك به في سبيل ذلك، فهي أقرب إلى أن تنتمي إلى أوقات مبكرة منها إلى أوقات متأخرة" (نولدكه،2008.ص96).

كما اعترف نولدكه باستحالة التوصل إلى تحقيب زمني دقيق للسور القرآنية للفترة المكية الثانية باعتبار أن "الحيز الدقيق الذي تحتله كل سورة ازاء السور الأخرى، فلا يمكننا تحديده هنا بتأكيد" (نولدكه،2008.ص108)، والأمر نفسه ينطبق على المرحلة المكية الثالثة، إذ يعترف نولدكه بعدم صحة ترتيبها الزمني وأرجعه إلى اختفاء التطور بين الفترتين المكيتين الثانية والثالثة، مما أدى إلى ضعف دقة الترتيب التاريخي، إلى غاية سور المرحلة المدنية التي افتقدت هي الأخرى للدقة إذ "يبقى الكثير مما هو غير مؤكد، فبعض المقاطع لا يمكن تحديد زمن نشوئها إلا على وجه التقريب" (نولدكه،2008.ص155).

وإذا ناقشنا معايير نولدكه في الترتيب التاريخي للقرآن، نجدها بعيدة عن الحقيقة إذ يمكن إبطالها بكل سهولة، فالحديث عن مسألة اختلاف الأسلوب القرآني من فترة إلى أخرى لا يعتبر دليلا كافيا لترتيب السور القرآنية، لأن أسلوب القوة والحدة والقسوة لا يقتصر على الفترة المكية فحسب، فهو موجود كذلك في السور المدنية لقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَـٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ آل عمران الآية [10-11]، ويمكننا إبطال الدعوة القائلة بأن السور المكية خالية من أسلوب اللين والصفح لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر الآية [53]، وقد أجمع المؤرخون على أن ترتيب الكلمات والعبارات والآيات في النص القرآني في موضعها الحالي كان بتنزيل إلهي إلى نبيه وهذا أمر واضح (الجبري،1999.ص143).

أما بالنسبة لمسألة اقتصار القرآن المكي على السور القصيرة عكس السور المدنية التي تقتصر على طوال السور فهذا زعم يمكن ابطاله، فالقرآن المدني يتضمن سور قصيرة كما هو الحال في سورة الزلزلة والبينة والنصر وغيرها من السور، كما نجد سور طويلة في المرحلة المكية كالأنعام والأعراف وغيرها.

أما فيما يخص زعمه المتعلق بالتوسل بالعلم الحديث الخاص بعلوم القرآن المتمثل في كتاب نولدكه تاريخ القرآن، فيمكن الرد على جعيط بأن أعمال المستشرقين عموما ونولدكه خصوصا لا تخضع بالضرورة للمنهج العلمي الصارم، ولا تتمسك بقواعده أثناء البحث والدراسة في التاريخ الاسلامي، ونحن في هذا الصدد لا ننفي المنهج العلمي عن المستشرقين كلية لكننا نعلم في مقابل ذلك، أنه عندما يتعلق الأمر بالقضايا الإسلامية تصبح المناهج والروح العلمية المنصفة حبرا على ورق، فلطالما عهدنا الانتقائية والذاتية والأحكام المسبقة في أعمال المستشرقين المتعلقة بالإسلام ونصوصه التأسيسية، وهذا ما أشار إليه العقاد في حديثه عن منهجية المستشرقين إزاء الموضوعات الإسلامية قائلا: "وعندهم دائما أن مسائل الإسلام موسومة بالغرابة والمخالفة لما عاداها من المسائل العالمية، فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولى، ولا يحسبون أن التحليل العلمي يتسع إلى تحليل الإسلاميات وغير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل...وكلهم يخص الإسلام بمنظار خاص من أول نظرة ولا يحمل ذلك المنظار نفسه حين يتحول بالنظر إلى سواه" (محمد،2000.ص124).

خاتمة:

- إن قراءة جعيط للنص الديني هي قراءة إسقاطيه بامتياز لا تخضع للمعايير والقواعد العلمية والمنهجية الموضوعية، لأنها تقوم على تبني المصادرات الاستشراقية التي تتأسس على سوابق الأحكام لمعاني النص القرآني، المبنية على المبالغة والشكوك والطعون والافتراضات الغير منطقية والنفي الاعتباطي والاعتماد على الشاذ والضعيف والانتقائية بغية إثبات الآراء والتخمينات الشخصية.

- يتوجب علينا أن نؤكد أنه آن الأوان للمصالحة مع الذات والواقع (واقعنا)، تلك المصالحة التي تعمل على خلق رؤى جديدة وفعالة تتجاوب مع تحديات الواقع العربي الإسلامي، مصالحة تمكننا من تجديد الثقة في خلق فكر ومنهج علمي وعملي ذو طابع إسلامي من شأنه أن يطبق على أرض الواقع، خصوصا وأن الإسلام لا يتناقض مع التجديد الواعي ليكون سببا في رفعة المسلمين وتقدمهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م.

- إسماعيل علي محمد: **الاستشراق بين الحقيقة والتظليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، ط3، الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2000م، ص 124.

- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط1، ج17، دار طيبة، الرياض، 2005م.

- الشيخ ليث العتابي: **القرآن الكريم بين الشبهات والردود**، ط1، مركز الرصد العقائدي، (د.ب.ن)، 2018م.

- أنور محمد زناتي: **معجم افتراءات الغرب على الإسلام**، ط1، الناشر نصرة رسول الله، (د.ب.ن)، 1998م.

- ثيودور نولدكه: **تاريخ القرآن**، منشورات الجمل، بغداد، 2008م

- خالد علال الكبير: **أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد عليه الصلاة والسلام**، دار المحتسب، الجزائر، 2008م.

- عبد الرحمن بدوي: **دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره**، الدار العالمية للكتب والنشر، (د.ب.ن)، 2000م.

- عبد المتعال الجبري: **السيرة النبوية وأوهام المستشرقين**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999م.

- كلود كاهن: **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**، تر بدر الدين القاسم، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1972م.

- لخضر شايب: **نبوّة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م.

- محمد أبو جعفر الطبري: **تفسير من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج6، دار هجر، القاهرة، 2001م.

- محمد أبو جعفر الطبري: **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، ج7، دار هجر، القاهرة، 2002م.

- محمد السيد راضي جبريل: **مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين عرض ودراسة ونقد**، ندوة بعنوان القرآن الكريم في الدارسات الاستشراقية، (د.ب.ن)، 2002م.

- محمد بهاء الدين حسين: **المستشرقون والقرآن الكريم**، ط1، دار النفائس، الأردن، 2014م.

- محمد حسين هيكل: **حياة محمد**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

- محمد دروزة: **التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول**، ج4، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

- محمد عبد العظيم علي: **السيرة النبوية وكيف حرّفها المستشرقون**، ط1، دار الدعوة، الإسكندرية، 1994م.

- هشام جعيط: **الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي**، تر المنجي الصيادي، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1990م.

- هشام جعيط: **في السيرة النبوية الوحي والقرآن والنبوّة**، ج1، ط5، دار الطليعة، بيروت، 2015م.

- هشام جعيط: **في السيرة النبوية تاريخية الدعوة المحمدية في مكة**، ج2، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2016م.